الفصول والغايات ـ للمعري

في تمجيد الله والمواعظ

نقلنا بعض فقرات من كتاب (الفصول والغايات) في مجلة الزهراء (١ : ٣٧ و ٣١٠) . فكتب الينا العالم الفاضل الاستاذ عبد العزيز الراجكوتي يقترح علينا أن نصف هذا الكتاب للقراء

كان المظنون أن (الفصول والغايات) مما ذهبت به يد الدهر من مصنفات حكيم شعراء العرب أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المشهور بالمعري المتوفّى سنة ٤٤٩ ، لانه ما برح مفقوداً منذ عصور كثيرة هو وكتب أخرى لهذا النابغة الكبير تبلغ ستين كتابا . وان الذين اطلعنا على كتبهم من مترجمي ابي العلاء وجامعي اخباره لم يذكر أحد منهم أنه رأى هذا الكتاب أو أجزاء منه ، ماخلا فقرات نقلوها من كتب العلماء الذين تقدّموهم . وقد تضاربت أقوال الناس في كتاب (الفصول والغايات) حتى زعم بعضهم ان المعرّي عارض به القرآن . واتفق لكاتب هذه السطور ان عثر في مكة عام ١٣٣٧ على المجلد الاول منه وهو قديم الخط جدّا لكنه مخروم من أوله وخلاله ، ويقع الموجود منه في ٢٣٠ صفحة كبيرة مضبوطا بالشكل الكامل ، وقد بلغ الغاية من الصحة والاتقان ، وفي آخره :

« تم الجزء الاول من الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ بصنعة ابي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي وإملائه . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله الطاهرين »

والكتاب مؤلف من فصول على عدد حروف الهجاء أولها « فصل غاياته همزة » ثم « فصل غاياته باء » الى آخر الحروف . وكل فصل مؤلف من قطع نثرية

في دقائق حكمة الله وبديع صنعه واسرار عظمته وعبر هذه الحياة وعيوب النفس البشرية وعجائب ما في بعض حوادث التاريخ العربي من موافقات ومفارقات. وفيه كثير من المعاني التي تعرّض لها المعرّي في ديوان لزوم ما لا يلزم وفي رسالة الغفران. وسواءاً كانت القطعة وجيزة أم مبسوطة فانها تنتهي بقافية الحرف الذي عقد له الفصل، وهو يسمى هذه القافية « غاية » ولذلك قال في تسمية الفصول « فصل غاياته همزة، فصل غاياته باء . . . الخ » ولذلك أيضاً سمى الكتاب نفسه « الفصول والغايات ». وفي آخر كل غاية تفسير لما ورد فيها من غريب اللغة ودقيق الاشارات التاريخية وغيرها

ويقول صاحب كشف الظنون ـ نقلا عن ابن الجوزي ـ ان الفصول والغايات في مائة كراسة، وأحسب ذلك صوابا بالنسبة الى ما في المجلد الاول من الفصول المرتبة على حروف الهجاء، ولعل الكتاب في جملته يبلغ خمسة أجزاء من حجم الجزء الاول.

وفي كشف الظنون أيضاً أن للمعري كتابا في تفسير غريب الفصول والغايات اسمه (كتاب السادر)، وأظنه لا يخرج عن هذه التفسيرات الملحقة بأواخر الغايات، ولعل المؤلف جرّدها بعد ذلك في كتاب دعاه بهذا الاسم. وهنالك تفسير آخر أكثر اختصاراً ذكره صاحب كشف الظنون باسم « اقليد الغايات » وقال انه مقصور على اللغة وهو في عشرة كراريس

أما خرافة معارضة المعري للقرآن فظاهرة البطلان لكل من ينظر في كتاب « الفصول والغايات »، وكيف يخطر لحكيم كالمعرّي مثل هذا الخاطر السخيف وهو القائل في رسالة الغفران مسفّها رأي الزنديق ابن الراوندي :

« بئس ما نسب الى راوند، فهل قدح في دباوند. انما هنك قميصه،

وأبان للناظر خميصه . وأجمع ملحدٌ ومهتدٍ ، وناكبٌ عن المحجّة ومقتدٍ ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كتابٌ بهر بالاعجاز ، والقى عدوه بالارجاز . ماحُذِي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال . ما هو من القصيد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون . ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سجعَ الكهنة ذوي الأرب . وجاء كالشمس اللائحة ، نوراً للمسرة والبائحة . لو فهمه الهضب الراكد لتصدّع ، أو الوعول المعصمة لراق الغادرة والصدع . وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . وان الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلألىء في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق . فتبارك الله أحسن الخالقين »

وقد دخل هذا المجلد من (الفصول والغايات) الخزانة التيمورية العامرة في هذا الشهر فكان ذلك أحفظ له وأليق به

﴿ كتاب المعرفة والتاريخ ﴾

علمنا من صديقنا الفاضل عادل بك جبر أنه قد دخل دارَ كتب المسجد الاقصى في هذا الشهر ثلاثة أجزاء من كتاب (المعرفة والتاريخ) لابي محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتويه (٢٥٨ ــ ٣٤٧ هـ) تلميذ الامامين ابن قتيبة والمبرّد وشيخ العلامة المرزُباني مؤلف (الموشح) . وهو يروى كتاب المعرفة والتاريخ عن يعقوب بن يوسف الفسوي ، وقد اعتمد في أخباره على الرواية كما صنع ابن جرير الطبري بعد ذلك في تاريخه . وهذه الاجزاء الثلاثة هي الخامس والسابع والحادي عشر . وكتبت في أوائل القرن السابع نقلا عن أصل قديم عليه سماعاتٌ بعضها في زمن المؤلف